



بناء النفس

خطب الجمعة

2018-06-22

عمان

مسجد القواسمي

الخطبة الأولى:

يا رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلءُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِثْلُ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِثْلُ مَا بَيْنَتْ مِنْ شَيْءٍ يَعْدُ، أَهْلُ النَّبَاءِ وَالْمَجْدِ، أَخَوْهُ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيتَ، وَلَا مُعْطِي لِمَا مَتَعْتَ، وَلَا يَتَّقِعُ دَا الْجَدِّ مِنْ لِي الْجَدِّ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، عَنِّي كُلُّ قَبِيرٍ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَمَفْرَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ، فَكَيْفَ نَفْتَقِرُ فِي عَنَّاكَ؟ وَكَيْفَ نَضِلُّ فِي هَذَاكَ؟ وَكَيْفَ تَذِلُّ فِي عِزِّكَ؟ وَكَيْفَ تُضَامُّ فِي سُلْطَانِكَ؟ وَكَيْفَ نَخْشَى عَيْرَكَ وَالْأَمْرُ كُلَّهُ إِلَيْكَ؟ وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، أَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ بِشِيرَاءٍ وَنَذِيرًا، لِيُخْرِجَنَا مِنْ ظِلْمَاتِ الْجَهْلِ وَالْوَهْمِ إِلَى أَنْوَارِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ، وَمَنْ وَجَّهَ الشَّهَوَاتِ إِلَى جَنَاتِ الْقُرْبَاتِ، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنِ أُمَّتِهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَصْحَابِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى زُرِّيَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى ذُرِّيَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ وَسَلِّمْ كَثِيرًا.

بناء النفس:

وبعد فبا أيها الأخوة الكرام؛

{ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله: يأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض على الجمر }

[رواه الترمذي]

نحن في زمن القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر.

{ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: تَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّبْلِ الْمُطْلِمِ، يُضِيحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَتُؤْمِنِي }

كَافِرًا، أَوْ يُمَسِّي مُؤْمِنًا وَبُصِيحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِّنَ الدُّنْيَا {

[أخرجه مسلم]



نحن في زمن تكاثرت فيه الشهوات والشبهات

نحن في زمن يُصِيحُ الرَّجُلُ فِيهِ مُؤْمِنًا وَبُصِيحُ كَافِرًا، أَوْ يُمَسِّي مُؤْمِنًا وَبُصِيحُ كَافِرًا، نحن في زمن تكاثرت فيه الشهوات والشبهات، الشهوات التي تعصف بالنفس، والشبهات التي تعصف بالفكر، فما من يوم إلا وشبهة جديدة تُعرض هنا أو هناك على الشاشات، أو في المنابر، أو في الساحات، وما من لحظة إلا وشهوة من الشهوات المستعرة سواءً كانت شهوة النساء أو شهوة المال أيضاً تعصف بالإنسان، إن لم يكن الإنسان نفسه وإيمانه بناءً ثابتاً، راسخاً، سليماً، بناءً على أسس متينة، فإن رياح الشهوات والشبهات ستعصف به. لذلك أيها الأخوة؛ ما من زمن نحن أحوح فيه إلى بناء النفس من هذا الزمن، كلنا يبني بيته، وكلنا يضع أساساتٍ متينة لبيته الذي يسكنه حتى لا تعصف به الرياح، وكلنا يبني جسمه بالطعام والشراب والغذاء والدواء حتى يبقى سليماً معافى، لكن من من المسلمين اليوم يعتني ببناء نفسه بناءً إيمانياً صحيحاً؟ قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَقْمِنِ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مِّنْ أَسْسٍ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شِقَاٍ جُزْفٍ هَارٍ قَائِهَارٍ بِهِ فِي تَارِ
جَهَنَّمَ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109)

(سورة التوبة)

(أَسْسٍ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شِقَاٍ جُزْفٍ هَارٍ) هل من عاقل يبني بناءه على أرض طينية يمكن لأقل السيول أو الأمطار أو الرياح أن تعصف به؟ (أَقْمِنِ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مِّنْ أَسْسٍ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شِقَاٍ جُزْفٍ هَارٍ قَائِهَارٍ بِهِ فِي تَارِ جَهَنَّمَ).

نماذج ممن أسس بنيانه على تقوى الله:

أيها الأخوة الكرام؛ بادئ ذي بدء؛ سأعرض لكم نماذج ممن أسس بنيانه على تقوى من الله، ثم سنتنقل للحديث عن عوامل بناء النفس.

ها هو مجاهدٌ جريحٌ في معركة أُخذ، به سبعون ضربة ما بين طعنةٍ برمجةٍ، أو ضربةٍ بسيف، أو رميةٍ بسهم، فبم كان يفكر وهو على فراش الموت؟ وما الذي كان يشغل باله؟

{ عَنْ رَيْدِ بْنِ تَابِتٍ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ لِيَطْلُبَ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ، وَقَالَ لِي: " إِنْ رَأَيْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ " قَالَ: فَجَعَلْتُ أَطُوفُ بَيْنَ الْقَتْلَى فَأَصْبُهُ وَهُوَ فِي آخِرِ رَمَقٍ وَبِهِ سَبْعُونَ صَرْبَةً مَا بَيْنَ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ وَصَرْبَةٍ بِسَيْفٍ وَرَمِيَّتٍ يَسْتَهْمٍ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَعْدُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: «خَبِّرْنِي كَيْفَ تَجِدُكَ؟» قَالَ: عَلَى رَسُولِ اللَّهِ السَّلَامَ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ فُلْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجِدُنِي أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَقُلْ لِقَوْمِي الْأَنْصَارِ: لَا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يَخْلُصَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيكُمْ شُعْرٌ يَطْرِفُ، قَالَ: وَقَاصَتْ نَفْسُهُ رَحْمَةَ اللَّهِ {

[رواه الحاكم]



تأسيس البنيان على تقوى من الله

في لحظاته الأخيرة لم يوص بمال، ولا بأهل، ولا بولي، كان همه دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان همه سلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فُلْ لِقَوْمِي الْأَنْصَارِ: لا عُذْر لَكُمْ أَمَامَ اللَّهِ إِنْ خُلِصَ إِلَى نَبِيِّكُمْ، إِنْ وَصَلَ الْأَعْدَاءُ إِلَى نَبِيِّكُمْ وَفِيكُمْ عَيْنٌ تَطْرَفُ، ثُمَّ قَاضَتْ رُوحَهُ، ثَبِتَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ وَعَلِمَ غَيْرُهُ الثَّبَاتَ، هَذَا أُسَسُ بِنْيَانِهِ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ.

خبيب بن عدي وضعته قريش على خشبية الصلب في مكة ليقتل، يُسأل قبل أن يقتل السؤال الأخير، قال: ما تحب قبل أن تصلب؟ قال: إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَدْعُونِي أَرْكِعَ رُكْعَتَيْنِ فَأَفْعَلُوا، هَذَا هَمُّهُ أَنْ يَرْكِعَ رُكْعَتَيْنِ لِلَّهِ، قَالَ: فَأَذِنُوا لَهُ فَرَكِعَ رُكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولُوا: قَدْ أَطَالَ فِي الْإِصْلَافَةِ خَشِيَةَ الْمَوْتِ لَفَعَلْتُمْ، أَنْظَرُوا الْآنَ بِحَاوِلُونَ تَنْبِيَهُ عَنْ مِبَادئِهِ، بِحَاوِلُونَ إِضْعَافَهُ وَالنَّبِيلَ مِنْهُ وَلَوْ بِكَلِمَةٍ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ تَشْفِي صَدُورَهُمْ، قَالُوا: أَلَيْسَ بِأَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ مَكَاتِكَ وَأَنْتَ تَاجٌ؟ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ أَمِيًّا وَادِعًا فِي أَهْلِي وَأَنَّ مُحَمَّدًا يُوحَى بِشَوْكِهِ، صَاحَ أَبُو سَفْيَانَ وَكَانَ وَقْتَهَا مُشْرِكًا وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، هَذَا هُوَ الثَّبَاتُ أَيُّهَا الْأَخُوَّةُ.

{ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: كَاتَبَ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي دِينَارٍ فَقَدُ أُصِيبَ رُؤُوسُهَا وَأُخُوها يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمَّا نَعُوا لَهَا، قَالَتْ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالُوا: خَيْرًا يَا أُمَّ فُلَانٍ، فَقَالَتْ: أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنُوا لَهَا إِلَيْهِ حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ:

كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ {

[أخرجه الطبري]

امرأة من الأنصار أنت يوم أُحُدٍ تبحث عن رسول الله تقول: ما فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ؟ وقد أشيع نأ مقتله صلى الله عليه وسلم، تقول: أين رسول الله؟ فرأت زوجها بين الشهداء، ورأت أختها بين الشهداء وهي تقول: ما فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ؟ حتى كحلت عينها بمرأى رسول الله فقالت: كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ، أي هينة.

الهزيمة من الداخل مصيبة كبيرة:

أيها الأخوة الكرام؛ هذه نماذج تؤكد أن الإنسان حينما يبني بنيانه على أسس ثابتة فلا تعصف به سباط الجلادين اللاذعة، ولا سبائك الذهب اللامعة، أما اليوم فكم من المسلمين يبيع دينه يعرض من الدنيا؟ كم من مسلم يتنازل عن مبادئه مقابل مبلغ مالي؟ كم من مسلم يسقط في أوجال الشهوة والرذيلة لامرأٍ متبرجة أغرته بجمالها أو بمالها؟ كم؟ وكم؟! كم من مسلم يسمع شبهة تعرض عن الإسلام في قناة من القنوات أو في ساحة من الساحات أو في منبر من المنابر فيتضعع دينه فوراً ويقول لك: ماذا نفعل؟ الدين يتهمونه بكذا وكذا، يتهمونه بالإرهاب، وبأنه ظلم المرأة، وبأنه، وبأنه، وبأنه، دون أن يكون له نبيأ ثابت يقول: هذا الدين أعتز به اعتزازاً لا حدود له، مشكلة كثير من المسلمين اليوم أيها الأخوة هي الهزيمة من الداخل، الهزيمة في ساحة المعركة مصيبة كبرى، لكنها لا تحصل إن لم تحصل هزيمة الداخل، أن يهزم الإنسان نفسياً، أن يكون دينه رقيقاً بحيث لا يقوى على رد شهوة ولا شبهة، لا بد أيها الأخوة من بناء النفس وإلا نحن في طريق لا ترضي.

عوامل بناء النفس:

1 - التقرب إلى الله:



الموصول بالله تعالى، قوي

أيها الأخوة الكرام؛ تنتقل الآن إلى عوامل بناء النفس، كيف يبني الإنسان نفسه؟ سألخص هذه العوامل في ثلاثة أمور فقط، الأمر الأول: أن تتقرب إلى الله، أول عامل من عوامل بناء النفس أن تتقرب إلى الله تعالى، فالموصول بالله تعالى قوي لأن الله هو القوي، والموصول بالله تعالى ثابت على دينه لأن الله عز وجل يقويه، ويمنحه الثقة بنفسه، فمن عرف ربه عرف نفسه.

أيها الأخوة الكرام؛ أول سبيل لبناء النفس أن تتقرب إلى الله تعالى بما يحب من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة:

{ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُجِيبَهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْتَاطِسُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلْتَنِي لأَعْطِيَنَّه، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأَعِيذَنَّه }

[رواه البخاري]



أحب شيء إلى الله تتقرب به هو الفرائض { مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ }، أحب شيء إلى الله تتقرب به هو الفرائض، أن تؤدي الصلوات الخمس، أن تقيمها في أوقاتها، أن تقيمها على النحو الذي يرضى الله به عنك، أن تصوم رمضان، أن تزكي الزكاة المفروضة، أن تحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، أن تغض بصرك عن المحارم، أن تكف لسانك عن المحارم، هذا أحب ما يتقرب به المتقربون إلى الله الفرائض، ثم قال: { وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ }، بعد الفرائض، قيام الليل، صلاة اللضحى، صيام ست من شوال، صيام الاثنين والخميس، صيام ثلاثة أيام من كل شهر، صدقة النافلة والتطوع، السنن الرواتب، { وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُجِيبَهُ }، الله أكبر، إذا قال لك مدبرك في العمل: إني أحبك فما يكون شأنك؟ قد لا تنام ليلتك وأنت مسرورٌ بمحبة مدبرك في العمل، أو بمحبة والدك، أو بمحبة من يملك بعضاً من أمرك، فكيف إذا قال ملك الملوك حتى أحبه؟ فإذا أحبته، فإذا أحبك الله ماذا يكون؟ إذا أحبك الله قال: { فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْتَاطِسُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلْتَنِي لأَعْطِيَنَّه، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأَعِيذَنَّه }، تستعبد به، تلتجئ إليه فيلجئك إلى أبه، تسأله فيعطيك، أما ما معنى كنت سمعه وبصره ويده ورجله؟ ما معنى ذلك؟ هنا كلامنا عن بناء النفس، عندما تتقرب إلى الله بالفرائض أولاً ثم بالنوافل فيحبك الله، الآن: يكون الله سمعك الذي تسمع به، أي لا تسمع شيئاً إلا في مرضاة الله، فإذا جاءت شبهة وكأنك لم تسمعها تدخل إلى أذنك ولا تدخل إلى قلبك، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ: فلا تنظر إلا بنور الله. وَيَدَهُ الَّتِي يَبْتَاطِسُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا: فلا تحرك يدك إلا في مرضاة الله، ولا تحرك قدمك إلا لمكان يرضي الله، تسير إلى المساجد لا تسير إلى أماكن اللهو المحرمة، هذا معنى كنت سمعه وبصره ويده ورجله التي يمشي بها، تنظر بنور الله، تسمع بنور الله، تمشي بنور الله، تحرك يدك بنور الله، وهذا أهم عامل من عوامل بناء النفس.

أيها الأخوة الكرام؛ لكن لا بد في بناء النفس عندما تتقرب بالنوافل ألا تتحول عبادتنا إلى عادات، ينبغي أن نجدد النية دائماً في قيام الليل، في صلاة الفرائض، في صلاة الجمعة، في حضور مجلس علم كهذا المجلس، هذه مجالس الذكر أيها الأخوة، عندما نحضر مجلس ذكر علينا أن نجدد النية في أنها في مرضاة الله لا أن نجعلها عادةً تؤديها فقط، ثم نركز على أعمال القلوب.

{ عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ

الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» }

[صحيح مسلم]

فالقلب أيها الأخوة إذا صلح صلح الجسم كله، وإذا فسد فسد الجسم كله، فلا بد من مراقبة القلب بحيث لا يكون فيه حسدٌ، ولا ذلٌ، ولا حقدٌ، ولا ضغينةٌ على أحدٍ من عباد الله.

2 - المجاهدة:

العامل الثاني أيها الأخوة من عوامل بناء النفس هو المجاهدة، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69)

[سورة العنكبوت]

لن يستطيع الإنسان أيها الأحاب أن يصل إلى مرضاة الله من غير مجاهدة النفس:



لا بد من مجاهدة النفس

لا تستجب لنزوات النفس وشهوات النفس، لا بد من مجاهدة النفس، فمن المجاهدة أيها الأخوة يستطيع الإنسان أن يبني نفسه بناءً صحيحاً، أما أن يترك لنفسه العنان ثم يقول: لماذا أفع في المعاصي؟ لماذا تعصف بفكري الشبهات؟ لأنك لم تجاهد، لا بد من المجاهدة.

ثابت البناني أحد التابعين قال: تعذبت بالصلاة عشرين سنة، أي يصلي ويجاهد نفسه، ثم تنعمت بها عشرين سنةً أخرى، والله إني لأدخل في صلاتي فأحمل همَّ انصرافي منها، من شدة محبته للصلاة، لا بد من أن يجاهد الإنسان، التكليف ثقيلٌ على النفس لكن إن جاهد نفسه بعد حين يصبح التكليف محبوباً إلى النفس.

أيها الإخوة الكرام: الإمام أحمد رحمه الله تعالى يقول: "يَا بُنَيَّ ائْتِ الْخَيْرَ فَإِنَّكَ لَا تَرَالُ بِخَيْرٍ مَا تَوَيْتَ الْخَيْرَ".

3 - المحاسبة:



لا بد بعد المجاهدة من المحاسبة

أيها الأخوة الكرام: أولاً: التقرب إلى الله بما يحب من النوافل والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال، ثم مجاهدة النفس وهوى النفس، أخيراً المحاسبة، الإنسان يجاهد نفسه ليحملها على طاعة الله ولكن لا بد بعد المجاهدة من المحاسبة إن وقع في شيء لا يرضى الله، لا بد أن يحاسب نفسه.

التاجر أيها الأخوة؛ يجري حساباتٍ يومية وأسبوعية وشهرية لكيلا تتراكم عليه الحسابات فيضيع، لا بد من المحاسبة للتاجر، والمؤمن يتاجر مع الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوَارِثِ وَالْإِحْبَالِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي تَبِعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ (111)

[سورة التوبة]

في التجارة مع الله لا بد من أن تحاسب نفسك، ماذا صنعت اليوم؟ هل أعطيت أو منعت في غير رضا الله؟ هل نظرت في غير رضا الله؟ هل أخذت قرشاً من حرام؟ هل؟ هل؟ يحاسب نفسه فيصح قبل أن يفوت الأوان:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتَصَعُّ الْمَوَازِينِ الْعِشْمُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47)

[سورة الأنبياء]

من حاسب نفسه في الدنيا حساباً عسيراً كان حسابه يوم القيامة يسيراً، ومن حاسب نفسه في الدنيا حساباً يسيراً كان حسابه يوم القيامة عسيراً. جلس أحد الصالحين يوماً محاسباً نفسه فإذا عمره كان ستين عاماً حسب أيامها، فإذا هي تزيد على واحدٍ وعشرين ألف يوم قال: يا ويلتاه ألقى الله بواحدٍ وعشرين ألف ذنب! إن كان في اليوم ذنبٌ واحد. أيها الأخوة الكرام؛ حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنَ عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنخذ حذرنا، الكئيب من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمانى، واستغفروا الله.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولىُّ الصالحين، اللهم صلِّ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَتَارِكُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا تَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

محاسبة النفس في الدنيا حساباً عسيراً ليكون حسابها يوم القيامة يسيراً:

جاء أعرابيُّ إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد قرض الجوع بطنه وبه من الفقر ما به قال:

فلم يتمالك عمر نفسه وذرفت دموعه ثم خلع رداءه وألبسه لهذا الفقير، قال له: خذ هذا ليومٍ تكون الأعطيات منه، وموقف المسؤول بينهم إما إلى نارٍ وإما جنة.

كلين عمر بن الخطاب يوماً في بستانٍ من بساتين الأنصار وأنس بن مالك يراقبه وهو لا يراه، فإذا بعمر يقف مع نفسه موقف محاسبة قال عمر أمير المؤمنين: "يَخِ يَخِ وَاللَّهِ لَتَتَّقِينَ اللَّهَ أَوْ لِيُعَذِّبَنَّكَ اللَّهُ" يحاسب نفسه.

أيها الأخوة الكرام؛ تقربوا إلى الله بما افترضه علينا ثم بما تستطيعون من النوافل، فلجاهد أنفسنا لنبنها بناءً صحيحاً في مواجهة الشهوات والشبهات، ثم لنحاسب أنفسنا حساباً عسيراً حتى يكون حسابنا بين يديه يوم القيامة حساباً يسيراً.

الدعاء:

اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لَنَا فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَفِنَا وَاصْرِفْ عَنَّا شَرًّا مَا قَصَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يَقْضِي عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذُلُّ مِنْ الْوَالِدِ، وَلَا يَعْزُّ مِنْ عَادِيَتِهِ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ، فَلَكَ الْخَمْدُ عَلَى مَا قَصَيْتَ، وَلَكَ الشُّكْرُ عَلَى مَا أُنْعَمْتَ وَأَوْلَيْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ، نُؤْمِنُ بِكَ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْكَ، اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا عَمَلًا صَالِحًا يَقْرِنَا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ يَا وَاصِلَ الْمُتَقَطِّعِينَ صَلِّتْنَا بِرَحْمَتِكَ إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ بِفَضْلِكَ عُقْنَا، وَكَفْنَا اللَّهُمَّ شَرَّ مَا أَهْمَنَا وَأَغْمَنَا، وَعَلَى الْإِيمَانِ الْكَامِلِ وَالْكِتَابِ وَالسِّنَةِ تَوْفِنَا، نَلْفَاكَ وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا، وَارْزُقْنَا اللَّهُمَّ حَسَنَ الْخَاتِمَةِ، وَاجْعَلْ أَسْعَدَ أَيْامِنَا يَوْمَ نَلْفَاكَ وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا، أَنْتَ حَسْبُنَا عَلَيْكَ اتِّكَالُنَا، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنَّا كُنَّا مِنَ الظَّالِمِينَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَارْزُقْنَا اللَّهُمَّ حَسَنَ الْخَاتِمَةِ، وَاجْعَلْ أَسْعَدَ أَيْامِنَا يَوْمَ نَلْفَاكَ وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا، اللَّهُمَّ فَرِّجْ عَن إِخْوَانِنَا الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا فَرَجًا عَاجِلًا غَيْرَ أَجَلٍ، اللَّهُمَّ أَطْعِمْ جَائِعَهُمْ، وَارْحَمْ مَصَابِيَهُمْ، وَأَوْ غَرِبَهُمْ، وَاجْعَلْ لَنَا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ عَمَلًا صَالِحًا مُتَقَبَلًا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ انصُرْ إِخْوَانِنَا الْمُرَابِطِينَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَفِي الْفِدْيَةِ الشَّرِيفِ عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَعْدَائِهِمْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ فَرِّجْ وَنَصْرِكَ عَلَى إِخْوَانِنَا فِي الشَّامِ، وَفِي الْعِرَاقِ، وَفِي الْيَمَنِ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ يَذْكَرُ فِيهِ اسْمُكَ يَا اللَّهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا سَخِيًّا رَخِيًّا مَطْمَئِنًّا وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ وَفَّقْ مَلِكَ الْبِلَادِ لِمَا فِيهِ خَيْرُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، أَقِمِ الصَّلَاةَ، وَقَوْمُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا اللَّهُ.

والحمد لله رب العالمين